



تقديم كتاب : " مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية "

للدكتور فريد الأنصاري - رحمه الله -



إعداد: د مصطفى هاشمي

الكتاب عبارة عن دراسة في مفهوم العلم وصفة العالمية وظيفته وبرنامجه، من خلال وصية أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474 هـ) - رحمه الله - تتميز مؤلفات العلامة فريد الأنصاري - رحمه الله - بالدقة في ملامسة قضايا الأمة وبحسن اختيار المواضيع ذات الأولوية، كما تتسم بالتأصيل الشرعي وبالمنهجية العلمية في تناول والمعالجة والمناقشة والجدل الرصين مع السهولة في العبارة وحسن البيان.

وكتاب " مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية " لا يخرج عن هذه القاعدة، فهو على صغر حجمه عظيم الفائدة في بابه، ويعد من أهم الكتب التي تؤصل للمنهجية العلمية في طلب العالمية، وتحدد برنامجا علميا متكاملًا لطلب العلم الشرعي، وهو موجه بالخصوص إلى المجازين في الدراسات الإسلامية، وإلى خريجي مدارس التعليم العتيق ومن في حكمهم ممن يرغب في استكمال تكوينه الشرعي.

الكتاب مؤلف من 148 صفحة، وهو فاتحة السلسلة الدعوية (من القرآن إلى العمران) التي تصدرها منشورات رسالة القرآن، طبع من قبل "الكلمة للطبع والإشهار"، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006 م - مكناس - المغرب.

وأود التأكيد بداية على أن قراءة هذا التقديم لا تغني البتة عن قراءة الكتاب ككل، إذ التقديم أو التلخيص ما هو إلا محاولة لتقريب المضمون للقارئ الكريم، ولفت انتباهه إلى أهمية الكتاب المقدم وقيمتها الكبرى مادة ومنهجًا، علما بأن الاستفادة التامة منه تستلزم ضرورة قراءة الأفكار الواردة بهذا التقديم ضمن سياقها العام بالكتاب. كما أشير أنني حرصت في هذا التقديم للكتاب أن أحافظ مرارا على أسلوب المؤلف - رحمه الله - فذلك ولا شك أبلغ في الدلالة على مقصوده.

وقد قصد العلامة فريد الأنصاري - رحمه الله تعالى - من خلال مؤلفه هذا إلى بيان المعنى الصحيح والمقصود الشرعي لمفهوم العالمية، ومدى تحقق الإنسان بهذه الصفة حتى يصدق عليه وصف "عالم"، وذلك لما اكتنف هذا المفهوم في الأزمنة الأخيرة من غموض شديد، حتى انتسب إلى العلماء من ليس منهم، والحال أن وظيفة العالم عظمة القدر، جليلة الوتر، خطيرة الأثر؛ فكان حال الأعداء معها كمن تطب وهو جاهل (1).

كما ذكر - رحمه الله - في مقدمة الكتاب بعض الأسباب الداعية إلى تأليفه أجملا في النقاط التالية: أن وظيفة تجديد الدين للأمة

منوطة بالعلماء بعد النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم أصحاب الوراثة النبوية، فالعلم - بالمعنى الصحيح للكلمة - هو بدء كل شيء في الدين، وهو أساس كل حركة في الدعوة إليه، تربية وتزكية.

- "موت عدد كبير من علماء الجيل الماضي، في المشرق والمغرب، والحال أن خلفهم - ممن انتسب إلى العلم - دونهم علما وخلقًا" (2).

- إنقطاع تدريس العلم الشرعي على وجهه الحقيقي في أغلب أقطار العالم الإسلامي، بما أدى إلى انقطاع تخريج العلماء بالمفهوم الأصيل للكلمة، فوجب تنبيه طلبة العلم إلى ما ينبغي انتهاجه للتحقق بمفهوم العالمية، ولو على طريق العصامية.

- ترامي عدد من أهل الأهواء والنوازع السياسية على وظيفة العالمية، والتلبس بمفهومها بغير حق، إذ صارت

نصائح وتوجيهات لصياغة برنامج عملي لطالب العلم الشرعي. - الفصل الثاني حدد فيه مفهوم العالم والعالمية؛ وبين أن "العالم هو الفقيه المجتهد الرباني الحكيم الذي يربي بصغار العلم قبل كباره"، و"العالمية صفة كسبية في معرفة أحكام الشريعة أصولها وفروعها، يكون المتحقق بها "إماما" في الدين تعليما وتزكية" (4)، ثم أشار - رحمه الله - إلى أن من أهم خصائص العالمية إتصاف العالم بثلاث صفات مهمة هي: الملكة الفقهية، الريانية الإيمانية والقيادة التربوية الاجتماعية.

- الفصل الثالث: تحدث فيه بإجمال عن الأصول الأربعة للعلوم الشرعية، التي تمثل أركان منهج طلب العالمية؛ وهي على التوالي: ● الأصل الأول: نصوص الوحي

تتميز مؤلفات العلامة فريد الأنصاري - رحمه الله - بالدقة في ملامسة قضايا الأمة وبحسن اختيار المواضيع ذات الأولوية، كما تتسم بالتأصيل الشرعي وبالمنهجية العلمية في تناول والمعالجة والمناقشة والاستدلال والاستنتاج، وكذا بالأسلوب الجزل الرصين مع السهولة في العبارة وحسن البيان.

● الأصل الثاني: العلوم الشرعية وفيه أصناف ثلاثة:

- الصنف الأول: علوم القرآن والسنة والتزكية

● الأصل الثالث: فقه اللسان العربي

● الأصل الرابع: فقه الواقع - الفصل الرابع: وضع فيه برنامجا تكوينيا للعالمية على أساس تحديد كتاب أو كتب التخرج، وكتب استكمال التكوين في كل مادة من مواد برنامج العالمية.

وقد جاء هذا الفصل مبينا لما أجمل في الفصل الذي قبله، حيث ذكر فيه مختلف المواد المدرجة تحت كل أصل من أصول العلوم الشرعية، فبلغ العدد الإجمالي للمواد عشرين مادة:

1- فالأصل الأول: نصوص الوحي يتضمن المواد التالية: القرآن الكريم، آيات الأحكام، السنة النبوية، أحاديث الأحكام.

2- الأصل الثاني: "العلوم الشرعية" ويتضمن المواد التالية: الفقه المالكي، الخلاف العالي، فقه النوازل والفتوى، علم أصول الفقه، القواعد الأصولية والفقهية، علوم القرآن، التفسير، علم التوحيد وعلم التزكية وعلوم الحديث.

3- الأصل الثالث: "فقه اللسان العربي" ويتضمن المواد التالية: النحو

حقيقتها غريبة بين الناس؛ حتى صار من الصعوبة لدى العامة تمييز العالم من غير العالم، وتداخلت في الأذهان مفاهيم كثيرة، كمفهوم الواعظ والداعية والأستاذ والمثقف.

- أن طائفة ممن انتسبوا إلى العلم الشرعي؛ تعلموا وتعلما؛ لم يأخذوا منه إلا أشباح معارف وأشكال أحكام؛ دخلوا بها في جدل عقيم مع الناس، غير مراعين حال الزمان وأهله، فنفروا أكثر مما يسروا وبددوا أكثر مما جددوا.

- تصدى كثير من عشاق النجومية ومحبي الزعامات الباطلة للشأن الإصلاحية في مجال "العمل الإسلامي التنظيمي"، والحال أن لا علاقة لهم بالعلوم الشرعية ولا هم من أهل صناعتها، علميا وتربويا؛ قال - رحمه الله تعالى -: "إلا وإن كل عمل إسلامي لا يصدره العلم الشرعي، ولا يؤطره علماء الشريعة فهو باطل باطل؛ ولن يقود إلا إلى المهالك والضلال" (3) (111)

بعد المقدمة التي شرح فيها المؤلف - رحمه الله تعالى - أسباب التأليف المذكورة آنفا، قسم الكتاب إلى أربعة فصول:

- الفصل الأول خصصه لترجمة الإمام أبي الوليد الباجي وبيان عناصر وصيته لولديه، هذه الوصية التي جعلها المؤلف - رحمه الله تعالى - محور كتابه، ومنها استلهم عناصره بتفصيل مجملاتها وبيان إشاراتهما في مجال التربية والتعليم، وتنزيل ما تضمنته من



العربي، فقه اللغة، الأدب، الخطابة. 4 - الأصل الرابع: "فقه الواقع" ويتضمن مادتي فقه السيرة والفقه السياسي.

وقد ختم - رحمه الله تعالى - هذه الفصول بملاحظات منهجية أشار فيها إلى أن الأثافي العلمية الثلاثة لهذا البرنامج - من حيث هو تخصص شرعي وصناعة علمية - إنما هي: آيات الأحكام وأحاديثها أولا، والفقه باصولة ثانيا، ثم اللسان العربي ثالثا، فهذه تمثل جوهر التكوين في هذا الاختصاص (5).

ثم أنهى كتابه بخاتمة حسنى تشدذ الهمة وتحفز طلبة العلم للجد والاجتهاد لبلوغ درجة العالمية، ثم ذيل كتابه بملحق أورد فيه وصية أبي الوليد الباجي بنصها الكامل، حتى تقرأ بتأن في غير سياق الدرس والشرح؛ عسى أن تكون عبرة للمعتزين، وعظة للمتعظين.

رحم الله فقيدينا الجليل ونفع بعلمه، آمين.

- 1 - مقدمة كتاب مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية، ص: 3
- 2 - مفهوم العالمية ص 6
- 3 - المرجع نفسه ص 9
- 4 - المرجع نفسه ص 35 و 36، ذكر صاحب الكتاب أن هذه التعريفات مستفادة من عبارات الإمام الشاطبي - رحمه الله -
- 5 - المرجع نفسه ص: 115

شكر وتقدير

يسر جريدة المحجة أن تتوجه بالشكر الجزيل للكتاب الأفاضل الذين أسهموا في توفير المادة العلمية الرصينة لهذا العدد خاصة السادة العلماء الفضلاء، والأساتذة الباحثين، ومحبي أختينا فريد الأنصاري رحمه.

كما يؤسف الجريدة أن تعتذر للكتاب الذين لم يتمكن من إدراج مواضيعهم ضمن هذا العدد نظرا لكثرة المواضيع وضخامة العدد.

فאלله نسال أن يأجر الجميع، ويبارك في جهودكم، ويرزقنا وإياكم الإخلاص والساد.